في الذكرى العاشرة للثورة الجزائرية

انتصارات الشهداء المليون

بقلم صبري حافظ

لن تزعم هذه الكلمة لنفسها القدرة على استكناه كافة ابعاد الثورة الجزائرية العظيمة ولا الاحاطة بكل زواياها ، ولن تدعى لنفسها الشمول التاريخي ولا الكمال ... ذلك لسببين اساسيين .. اولهما غياب كثير من جزئيات الصورة وتفاصيلها الدقيقة عني ـ رغم انني شديد الرغبة في تقصي ابعادها ـ لاسباب عديدة اكثرها خارج عن ارادتي وناجم عن انعدام فرصة التعرف عليها من قريب لدي . وثانيهما ان هذه الكلمة ليست اكثر من باقة ورد احاول ان انثرها في حب وتقدير عميقين فوق قبر الشهداء المليون في الذكرى العاشرة لانطلاق طلائعهم الرائدة فجر فاتح نوفمبر عام ١٩٥٤ ، حاملة في بسالة وشرف رسالة رواد النضال ضد الاستعمار الفرنسي الكئيب منذ الامير عبد القادر الجزائري حتى نجم الشمال الافريقي . هي باقة ورد لان دراسة النقاط التي ستحاول ان تثيرها هذه الكلمة وتتعرض لبعض زواياها تتطلب مساحة اوسع بكثير جدا من الحيز الذي ستشغله كلمتي ، ووقتا اعرض من الذي اخصصه لها .. ولا يعني هذا انني بباخل على دراسة هذه الثورة العظيمة بالوقت او الجهد ، ولكن لاني اعتقد ان التعرف المباشر على جزئيات هذه الثورة وملامسة انجازاتها ضروريان لمثل هذه الدراسة وغير متوفرين لي بعد وان كنت آمل توفرهما .

غير انني ـ وحتى تتوفر لي فرصة ملامسة هذه الثورة العظيمة عن قرب ـ سأحاول ضمن الاطار الذي قدمت ركنيه ان اتكلم عن الثورة الجزائرية ، وعبر الحدود العامة لصورتها سأحاول الحديث ... والحديث عن هذه الانطلاقة الثورية العظيمة لا يستمد اهميته من كونه تناولا لاحدى توارث عصرنا العظيمة ضد الاستعمار ، او من كونه برهانا ساطعا على ان العنف هو اللغة الوحيدة القادرة على انتزاع الاستقلال الوطني من براثن الاستعمار المحتضر ، والذي سيشهد جيلنا اخر زفراته في عالمنا . ولكن ايضا من كونها استطاعت ان تثري بتجربتها الخصبة تلك التراث النضالي لمنطقة العواصف الثورية في العالم المعاصر ... اعني آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية . وان تقوم على الصعيدين النضالي والسياسي تجربة شديدة الخصوبة في مسألة انتزاع الجماهير لاستقلالها وسيطرتها على مقدرات حياتها بعد الاستقلال، وان تؤكد تنامي الطاقة الثورية للجماهير الفلاحية في البلاد المستعمرة ، اذ يقع على هذا القطاع اكبر هموم الاستعمار كما يؤكد فرانز فانون ، مثرية بتجربتها تلك نظرية الثورة في هذا المجال ... غير اننا سنؤجل قليلا الحديث عن القيمة العالمية لهذه الثورة العظيمة وعن مكانتها من تراث الثورة العالمية المعاصرة . لنتناول اولا قيمتها المحلية من خلال تعرفنا على بعض ملامح صورتها ، ثم قصيتها الاقليمية للمنطقة . وان كانت هذه القيم الثلاث شديدة التداخل والارتباط بالدرجة التي يصعب معها الحديث عن كل على حدة ، الا اننا سنتبع هذه الطريقة تفصيلا لجوهر المسألة وتوضيحا لوجوهها .

ولن تظهر معالم القيمة المحلية لهذه الثورة واضحة الا بعد التعرف على الملامح العامة للمعركة الطويلة التي خضبت الارض الجزائرية بدماء الشهداء المليون ، وعلى الخطوط العريضة التي ترسم حدود الصورة المجتمعية التي تعيشها الجمهورية الجزائرية اليوم . وحتى تظهر القيمة الحقيقية لهذه الثورة واضحة وناضجة بكل ابعادها يستحيل تجاهل اي من المعركتين .. معركة التحرير ومعركة البناء .. فكل عشرة افراد يتنفسون نسمات الحرية فوق الارض الجزائرية اليوم ، لان هناك انسان قد دفع لهم ثمن هذه النسمات ... استشهد من اجلهم في معركة التحرير الضارية التي انطلقت شرارتها في فاتح نوفمبر العظيم . ولم تكن هذه الانطلاقة الرائعة سوى استمرار للنضالات الشعبية المستمرة ضد المستعمر الفرنسي ، ومحاولة لتجريح قدمه التي وضعها على ارض الجزائر عام ١٨٣٠ حتى يسحبها من جديد .

وقد ارتوت معركة التحرير الضارية تلك من عظمة الانطلاقة العفوية الكبيرة التي اجتاحت الشعب (١) الجزائري كله في تلك الفترة والتي غذتها معاركه السابقة العديدة ضد هذا المستعمر ، ولا غرو فقد راح ضحية واحدة منها فقط اكثر من خمسين الفا من الجزائريين (٢) هذه الانطلاقة العفوية الكبيرة والواعية في الان نفسه هي التي اكسبت جبهة التحرير صلابتها الاسطورية تجاه اكثر انواع الاستعمار بشاعة .. اذ تسربل الاستعمار الفرنسي للجزائر برداء التوطن ، محاولا ان يذوب الشخصية الجزائرية تماما في الاطار الفرنسي ، كقطعة سكر في كوب شاي ساخن .

ومن بشاعة هذا الشكل الاستعماري الكئيب .. ومن عظمة الانطلاقة الشعبية المتمردة والمرتوية من تراث نضالي طويل . اكتسبت جبهة التحرير صلابتها الاسطورية محققة ـ على طول سنوات نضالها المرير ـ المزيد من الانتصارات ... مستعملة كافة الاشكال النضالية ابتداء من المظاهرات حتى حروب الابادة مرورا بالاضرابات والحروب الفدائية الصغيرة والعمليات الانتحارية المسلحة . وما زالت احداث أوت ١٩٥٥ والنجاحات العسكرية التي تحققت خلال عامي ٥٦ و١٩٥٧ واضراب ٥ يوليو الكبير ، والاضراب المدرسي واضراب الثمانية ايام رغم روحة الرومانتيكية ، والمظاهرات الشعبية العنيفة والمتتالية في ديسمبر ١٩٦٠ واحداث ساقية سيدي يوسف ، ومعارك الابادة العنيفة والعديدة .. ما زالت كل هذه العمليات النضالية على مختلف اشكالها قريبة الى الذاكرة ومحفورة فيها ... وشاهدا على ان ميسم العنف قد ترك طابعه على كل جزئيات هذه المعركة التي خاضها الشعب الجزائري في بطولة وشرف .. واعتقد الا حاجة بنا هنا الى تأكيد ان الشعب الجزائري كان بمناه ان يتحقق استقلاله دون نقطة دم واحدة ، فلم يكن راغبا في ري الارض الجزائرية بدماء ابنائها ... غير ان الاستعمار هو الذي اكد ان لغة الدم هي اللغة الوحيدة والحاسمة والقادرة على اقناعه . ولا ارغب هنا في ان تلوح كلماتي داعية الى العنف ولا مهيجة لكوامن الحروب ، فما احب شيئا قدر حبي للسلام ... وما اكره شيئا قدر بغضي للحرب ... غير اني احب الحرية قدر حبي للسلام واكثر.. ومن ثم اجد نفسي واقفا في صف العنف الذي ينشد الحرية . خاصة

(١) اعني بالشعب هنا .. فقط كل الذين كانت لهم مصلحة في طرد المستعمر ، وليس ثمة شك في ان الذين استمرأوا العمالة والتبعية ـ رغم هويتهم الجزائرية ـ خارجون عن هذه التسمية ، ومنخرطون في دائرة الاعداء .

(٢) اشير هنا الى مجزرة سطيف عام ١٩٤٥ .

وقد اثبت الاستعمار في مصر عام ١٩٥٦ وفي الجزائر طوال معركة الاستقلال المجيدة أن العنف هو اللغة المقنعة . « لان محو الاستعمار انما هو نزال بين قوتين متعارضتين اساسا . قوتين تستمد كل منهما صفتها الخاصة من ذلك التكوين الذي يفرزه الظرف الاستعماري ويغذيه . ان النجابه الاول الذي تم بين القوتين انما تم تحت شعار العنف » (٣) ومن ثم يجب ان يتم تحت نفس الشعار النجابه الاخير ، وان انقلب الميزان . فالاستقراء التاريخي لهذه الظاهرة يؤكد « ان انبثاق الامة الجديدة ، وتدمير النظم الاستعمارية هما اما ثمرة عنف يقوم به الشعب المستعمر ، واما ثمرة العنف الذي تقوم به شعوب اخرى مستعمرة فيضغط على النظام الاستعماري » (٤) خاصة وان التطور الحضاري الواسع المدى والذي حققته الانسانية خلال جنوحها الى مستوى ارقى قد اكد ان « الشعب المستعمر ليس وحيدا في المعركة ، وحدوده تظل تتسرب منها الانباء والاصداء رغم الجهود التي يبذلها الاستعمار . انه يكتشف ان العنف يملأ الجو .. وانه ينطلق هنا وهناك، وانه هنا وهناك ينتصر على النظام الاستعماري .. فالانتصار الكبير الذي حققه الشعب الفيتنامي في ديان بيان‌فو دفع كل الشعوب المستعمرة الى ان تطرح على نفسها المسألة التالية .. ماذا يجب ان نعمل حتى نحقق ديان بيان‌فو ثانية ؟ وكيف ؟! » (٥) ويكون الجواب .. كما فعل الفيتناميون في ديان بيان‌فو .

فالعنف وحده هو الذي استطاع ان يؤكد خرافية الوهم القائل بأن الجزائر فرنسية ، وهو الذي استطاع ان يقف خلف المفاوضين الجزائريين عندما تصلبوا بعناد وهم يفرضون على المستعمر الشروط على مائدة المفاوضات في ايفيان ، وهو الذي صهر في بوتقته كل تذبذبات المترددين الواجفين من رياح الثورة المسلحة امثال المصاليين وغيرهم . وهو الذي يضاف اليوم على طول هذا التراث التاريخي الثوري الخصب مؤكدا خرافية مقولة الثورة السلمية ... هذه المقولة الطيبة النية الى حد بعيد . والعنف الذي نتحدث عنه هنا ليس عنفا اعمى كالذي يكتظ به كتاب جورج سوريل (تأملات في العنف) ولكنه عنف واع وموجه ضد الاستعمار ومدرك لطبيعة التناقضات العالمية والقوى المختلفة ، ومقدر للخبرة التاريخية في الصراع ضد الاستعمار مستفيد منها ، وفاهم في الان نفسه الطبيعة النوعية للاستعمار العالمي في هذه المرحلة من تاريخه .. انه العنف المحدد المعالم الذي رسمه فرانز فانون في كتابه الممتاز (معذبو الارض) والبعيد تماما عن همهمات سوريل الفاشية عن العنف .. انه عنف واع من اجل التحرر ومن اجل تدعيم وتوطيد السلطة الديموقراطية الشعبية في الجزائر بعد الاستقلال .

بهذا العنف انتزعت الجماهير الجزائرية استقلالها ، وفي بوتقته نضج وعيها السياسي وتبلور . ومن ثم استطاع هذا الوعي السياسي المتبلور في اتون التجربة النضالية الكبيرة ان يفرض الشكل السياسي والمجتمعي لجزائر ما بعد الاستقلال « فالنضج السياسي لجماهيرنا ، وتعطشها الى العدالة والمساواة ، وحقدها على الظلم ، هو الذي تطلب ديمقراطية شعبية حقيقية قائمة اولا على القضاء على استغلال الانسان للانسان » (٦) ولم يفرض هذا النضج السياسي جوهر النظام فحسب، ولكنه فرض ايضا شكله ووتيرات نموه . فقد نمت في احشاء هذا النضج السياسي الكثير من الافكار الجنينية عن الصورة المرتقبة للمجتمع الجزائري بعد الاستقلال وتبلورت في وقت قصير . بل ان بعض هذه الافكار قد اتخذت طريقها الى التنفيذ خلال انطلاقة عفوية مسلحة بوعي نضج خلال سنوات النضال الطويلة ضد المستعمر . ومرتوية من احساس الجزائري بانه دفع ثمن كل شيء ، يذكره بهذا الثمن عبير الدم الذي يفوح من كل شقوق الارض الجزائرية .

(٣) و (٤) و (٥) فرانز فانون (معذبو الارض) ترجمة سامي الدروبي وجمال الاتاسي دار الطليعة ، بيروت ١٩٦٣ ص ٤٤ ، ص ٧٣ ، ص ٧٤ .

(٦) خطاب الرئيس بن بيلا في المؤتمر الاول لحزب جبهة التحرير الوطني في ١٦ ابريل ١٩٦٤ .

ولعل اهم هذه الافكار الجنينية التي اتحدث عنها مسألة التسيير الذاتي التي افرزتها الظروف النوعية للثورة الجزائرية ، والتي ظهرت تلقائيا خلال اندفاع الجماهير لاجتناء ثمار التجربة التي دفعوا بالدم ثمنها .. فعندما سحب المستعمر قدمه الدامية من فوق ارض الوطن وجد السكان الاصليون ان من واجبهم ان يضعوا هم اقدامهم محلها فورا . وكاد هذا الاجراء ان يشكل في بداية ظهوره نوعا من الازدواج في السلطه يعيد الى الاذهان ايام كيرينسكي . غير ان محاولة السلطة الدائمة في اللقاء مع الاماني الشعبية التي ما تلبث لثراء الجماهير النضالي ان تتحول الى واقع يدعو السلطة النابعة منه اصلا الى الاسراع في وتيرات تقدميتها مما دفعها الى « الشروع في انجاز الاصلاح الزراعي وانشاء اقتصاد وطني يتكفل العمال بضمان تسييره والى انتهاج سياسة اجتماعية تتم لصالح الجماهير من اجل رفع مستوى حياة العمال ، وتصفية الامية وتنمية الثقافة الوطنية وتحسين المسكن والحالة الصحية وتحرير المرأة ، وسياسة دولية تعمد الى مؤازرة الحركات المناضلة من اجل استقلال بلدانها » (٧) . وقد انعكست هذه الروح على شكل الدولة التي بدأت بمعاونة جماهير واعية بحقوقها التي نمت وتبلورت في اتون التجربة النضالية ... فبدأت بعد الاستقلال معركة حقيقية لتحقيق الاستقلال الاصعب .. اعني الاستقلال الاقتصادي .. ومن ثم وجدت القيادة لزاما عليها ان « تتولى تعبئة الجماهير الشعبية وضمها ضمن اطاراتها وتثقيفها من اجل تحقيق الاشتراكية ، وتدرك وتعكس مطامح الامة كما تراقب هي تنفيذها » (٨) ولهذا بدأت على المستوى السياسي تنظيم بنائيات جبهة التحرير الوطني على قاعدة مبدأ المركزية الديمقراطية بعد ان تأكدت من انه « ليس في استطاعة النظامين الرئاسي والبرلماني الكلاسيكيين ضمان هذا الاستقرار » (٩) ومن المعرفة العميقة بهذا الموقف يؤكد بن بيللا بانه « اذا ما سمح حزبنا بدخول المستغلين الى صفوفه فانه سيتعرض لمخاطر التفسخ والتبرجز » ويرى ان « الحزب يجب ان يستمد قوته من الفلاحين والعمال اذ تهدف الاشتراكية اولا وقبل كل شيء الى تحرير هذه القوى الاجتماعية » (١٠) والى العمل في الان نفسه على ان يحتضن جهاز الدولة رؤية هذه القوى الاجتماعية للواقع وان يمثل امانيهم ويعتنق مصالحهم ، ولن يمكننا ان ندعي ان كل هذا متحقق الان ، فهذه مسئولية شديدة الصعوبة ... والطريق المؤدي الى توفير الرفاهية لهذه القوى الاجتماعية ليس مفروشا بالورود ، لكنه وفي بلد كان مستعمرا الى وقت قريب عملية شاقة . اذ ان الاستعمار حينما يسحب قدمه من فوق ارض الوطن المستعمر فانه يترك مكان هذه القدم

(٧) من مقدمة الدستور الجزائري الذي اعلن في ٧ اوت ١٩٦٣ .

(٨) و (٩) من مقدمة الدستور الجزائري .

(١٠) و (١١) من خطاب بن بيللا السابق .

صدر حديثا :

ميخائيل نعيمة

الاديب الصوفي

بقلم الاديبة ثريا ملحس

الناشر : دار بيروت ـ دار صادر

الثمن ق. ل ٣٠.٠

واضحا ... في الصفوف الثانية التي يربيها الاستعمار لتحل محله ، وتحمل راية افكاره ، ثم لتمهد لعودة الثانية في شكل جديد .. اعني البرجوازية .. فبرغم ان هذه الطبقة ذات مصالح واضحة في عملية الاستقلال .. الا انها تهتم بتحقيقه باقل قدر ممكن من الخسائر .. فكل ما يهمها هو ان تبني نفسها داخليا .. وهي في سبيل ذلك مستعدة الى ان تتحالف مع الشيطان .. ولكنها .. وهنا سر مأساتها المعاصرة تجد نفسها تبني في ظل عالم ينهار فيه النظام الرأسمالي ككل ، وهذا هو ما يدفعها الى اعداد الحبل الذي ستشنق به نفسها دون ان تدري .. وخلال هذه العملية الواعية يلقي بها فزعها في احضان الاستعمار من جديد .. هذه الطبيعة الشديدة التعقيد وذات النوعية الخاصة لبرجوازية هذا العصر هي التي تنبهت اليها الثورة الجزائرية وحاولت ان تقدم خلال الممارسة التي هي بتعبير سيكوتوري احسن المستشارين الفنيين ، تصرفات عملية ازاءها بدأت من تأكيد بن بيللا على ان « النزعة البيروقراطية وانعدام الوعي هي الاعداء الاساسية لتماسك الحزب ، وهناك ايضا الاحترافية والانتهازية ، ومن ثم يجب اتخاذ الاجراءات السريعة لابعاد المحترفين والانتهازيين والذين يسيرون الحزب لاغراض شخصية من صفوفنا » (١١) فهذه النزعة البيروقراطية والاحترافية والانتهازية وان كانت علما على تذبذبات البرجوازية الصغيرة بنوع خاص ـ والتي هي في الجزائر فعلا ذات خطر كبير ـ الا انها في النهاية تعبير ومساعد للبرجوازية في العودة الى المكان الرئيسي من اللوحة الاجتماعية حتى تحتل المكان الذي تركه المستعمر شاغرا ، والذي عادة ما تقوم بالتحالف مع اعدائها ـ الجماهير الشعبية ـ من اجل طرد المستعمر حتى يخلو لها المكان الذي تسعى اليه .. اعني الجلوس على قمة دولاب الانتاج القومي ... وهذه حقيقة يؤكدها كل التراث الكلاسيكي للثورة العالمية .

وللظروف النوعية للجزائر .. تمكنت الثورة من ان تحفر لنفسها وسط عواصف مؤامرات التبرجز ومحاولاته للسيطرة مسارا خاصا نستطيع ان نقول انها تمكنت خلاله او كادت من احباط كل محاولات البرجوازية للسيادة على جهاز الانتاج وان لم تتمكن تماما بعد من توطيد سيطرة الجماهير الشعبية عليه ، لكثرة المناوئين ولبكارة الطريق الذي تنتهجه الثورة وكثرة مزالقه بالنسبة للمنطقة على وجه خاص ... والثورة واعية لهذه المسألة ، ولهذا فاننا نقرأ في التحليل الذي قدمته اللجنة التحضيرية لمؤتمر حزب جبهة التحرير الجزائرية « والواقع ان تعدد الاحزاب ليس ممكنا الا في اللحظة التي تكون فيها المصالح الاساسية للطبقات المسيطرة مضمونة ضد اي مخاطرة جدية ، وهو يتيح من جهة ثانية لكل المصالح الخاصة ان تنتظم في كتل ضغط مختلفة تستهدف احباط المصلحة العامة ، اي مصلحة العمال » (١٢) ومن ثم فقد اتجهت الثورة الى الاخذ بنظام الحزب الواحد ، الذي يلوح اتجاه الاشتراكية العلمية واضحا في تحليله للثورة الجزائرية ... الا ان اخذ الثورة بهذا النظام لا ينفي الدور الجماهيري في فرضه .. ولا ينفي في الان نفسه ان خطر البرجوازية ما زال قائما من خلال فرص النمو المفتوحة امام الملكيات الميكروسكوبية الموجودة بكثرة في الواقع الجزائري الان ... ولن تضمن الجماهير سيطرتها تماما على السلطة الا في اللحظة التي يتلاشى فيها الاساس الذي يرتكن اليه اعداؤها .. اعني الملكية الخاصة لشتى وسائل الانتاج والتوزيع .

لذا لا يستطيع حزب يمثل هذه القوى الاجتماعية ـ العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين ـ « ان يقبل دون الانفصال عن الجماهير التباين القائم حاليا بين المداخيل وعليه ان يحارب بشدة المفاهيم الطفيلية التي ولدت في ظروف استغلال قسري للجماهير الكادحة ، ونجاح هذا الكفاح مرتبط بتنحية الفئات ذات الامتيازات من خشبة المسرح وبممارسة الجماهير الكادحة نفسها للمسؤوليات السياسية والتسييرية فتلك هي اسلم وانجع وسيلة لتجنب السقوط في فخ المساواة المزعومة » (١٣) .. وقد دفعت الجماهير الحزب الى اتخاذ هذا الموقف الصلب بالنسبة لقضية الاستقلال الان « ثورتنا كانت منذ ميلادها ديمقراطية وشعبية باوسع معاني الكلمة .. ان فلاحي وعمال بلدنا باحتلالهم للاراضي والمصانع الشاغرة قد خلقوا القواعد الموضوعية للاشتراكية في الجزائر في اتجاه الروح التي غذت المقاومين الاول ، ومرة اخرى فتح الشعب بنفسه الطريق الذي يمكنه من تجاوز المشاكل المزيفة والنزاعات المزيفة . وان السلطة باعطائها شكلا واعيا للمبادرات الشعبية بواسطة مقررات مارس ، قد تقمصت الثورة ووقفت بتصميم في طريق الذين كانوا يحلمون باقتسام الغنيمة » (١٤) ... تؤكد هذه الكلمات حقيقة هامة هي ارتفاع وعي الجماهير الشعبية ونضج مبادراتها .

والمتتبع لتاريخ الثورة الجزائرية بعد الاستقلال يتمكن بسهولة من لمس هذه الحقيقة ... فالجماهير التي حاربت في الجبال لمدة سبع سنوات ونصف والمرتكزة على تاريخ نضالي طويل ، قد حققت استقلال البلاد بعد ان دفعت دماء مليون من ابنائها .. ومن ثم لم يكن ممكنا ان تترك ثمرات هذا الاستقلال للبرجوازية ... فتوالت المبادرات الجماهيرية في الاستيلاء على المصانع والمزارع ثم دعمتها السلطة باصدار القرارات التي تضفي على هذا التصرف رداء المشروعية .. ففي المسألة الزراعية صدر قرار ٢٣ اكتوبر ١٩٦٢ الذي يلغي شراء وبيع وايجار الاملاك الشاغرة .. ثم قرار ٨ مارس ٦٣ الذي يسجل عودة الاراضي التي تخلى عنها المستعمرون الى التراث الوطني .. ثم جاءت قرارات ٢٢ و ٢٨ مارس ١٩٦٤ لتمنح مسألة التسيير الذاتي في قطاعي الزراعة والصناعة قاعدة شرعية وقانونية ، ضامنة بذلك ظهور قطاع اشتراكي .. ومن المهم ان نلاحظ ان هذه القرارات جاءت بعد ان كانت الجماهير ـ فلاحين وعمالا ـ قد استولت على الاراضي والمزارع وسيرتها ذاتيا ونجحت في هذه العملية ، فكان لهذه القرارات دور المدعم وظلت الريادة للجماهير . ولان تجربة التسيير الذاتي هذه تجربة رائدة في النطاق العربي ، فاني آمل ان تتاح لها دراسات جادة وعميقة ، تثري على المستوى العام نظرية الثورة في هذه المنطقة .

واذا انتقلنا الى الصورة السياسية للتجربة الجزائرية ، وان كان كل ما قلناه عن الاقتصاد ذا روح سياسية ، فاننا سنجد رغبة اساسية في بعث الحس القومي وبلورة الشخصية الجزائرية من خلال الاهتمام بشتى مناحي الثقافة واعادة بعث ما هو قومي منها . كما سنجد عداء شديدا للاستعمار ، ولا ادل على ذلك من مواقف الجزائر الى جانب حركات التحرر الوطني .. وقول رئيسها عن تشومبي « اننا ضد الامبريالية ، وضد الاستعمار الجديد والقديم ، وضد التدخل الاجنبي والعدواني في شئون البلاد المستقلة .. وتشومبي ليس الا متحفا حيا لهذا كله .. فكيف يمكن ان نبرر لشعوبنا المناضلة في اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية اننا صافحنا هذا المتحف الاستعماري » (١٥) .. الا ان اهم ما سنلمسه في هذه التجربة ـ اذ ان المعالم السابقة هي اشياء تشترك فيها مع غيرها من بلاد المنطقة العربية ـ هو المفهوم الجديد للديمقراطية وسيادة هذا المفهوم .. ففي المادة الاولى للدستور الجزائري نقرأ ان « الجزائر جمهورية ديمقراطية وشعبية » .. فالديمقراطية الجزائرية ذات صفة محددة وواضحة .. الا وانها شعبية .. لذلك فاننا نعثر على مواد كثيرة في الدستور الجزائري (٣ ، ١٠ ، ١١ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٢) تؤكد على مسألة الديمقراطية وتبرز طابعها الشعبي .. فهي ديمقراطية ضد الاستغلال ومع الجماهير الكادحة . ولذلك يؤكد تقرير اللجنة التحضيرية ان « الديمقراطية الاشتراكية

ـ التتمة على الصفحة ٧٩ ـ

(١٢) و (١٣) تقرير اللجنة التحضيرية للمؤتمر الاول لحزب جبهة التحرير الجزائرية .

(١٤) تقرير بن بيللا لمؤتمر الحزب .

(١٥) تصريح بن بيللا للاهرام في ٥ ـ ١٠ ـ ١٩٦٤ .

يطول الزمن باخراجها وبعثها فهرسة شاملة تستقصي موضوعاتها وما فيها من اعلام وبلدان . حتى اذا ما وجدت تلك الفهارس في ايدينا كان من الممكن الانتفاع بتلك الخطيات الى ان يحين الحين فتخرج محققة كاملة . الشطر الثاني شطر التحقيق . والذي احب ان اثيره مع استاذي امين الخولي هو مدرسة التحقيق . فقد كان قديما في دار الكتب قسم ادبي يقوم على اخراج المخطوطات وتحقيقها . وكان بين يدي المحققين في هذا القسم مكتبة كبيرة تمكن الذين يقومون بالتحقيق من الرجوع اليها متى شاءوا . وقيام الافراد الان بالتحقيق لا يحقق الغرض الذي يريده الاستاذ الخولي .

الاستاذ الخولي : يجب ان ينظر الى هذه المسألة في افق اوسع. قد يكون بعض التحقيق الفردي مجديا فان طالبا في الدراسات العليا في الجامعة يعمل لتحقيق نص من النصوص اعتقد ان عنده من الوقت ومن الطاقة العلمية ومن الوسائل الميسرة ما يستطيع به ان يأخذ من دار الكتب هذه المخطوطات مصورة لان دار الكتب عندما يكون لديها مخطوط قديم او معرض للبلى تصوره . وكذلك عندها قسم للتصوير والمصورات . وعلى هذا يمكن تيسير كل هذه الصعوبات حتى للفرد حينما يريد . على اني اعود فأذكر واتذكر ان التراث قضية كبرى وان العمل فيه لا يصح ان يكون فرديا وانما هو عمل تجند له الدولة جيشا تمده بالوسائل الكافية . واذا كنا قد وجدنا عندنا من بذل من ماله ليطبع كتاب الاغاني هذا الطبع غير الموفق فاظن ان تيسير الحصول على النسخ سواء كانت مصورة من الخارج او مصورة من الداخل ليس امرا شاقا . ولهذا لا اقبل اي هوادة في التحقيق . اما المسألة التي اشار اليها الاستاذ الابياري وهي فهرسة المخطوطات فالحقيقة ان الفهرسة العلمية الحقيقية تحقق الانتفاع الذي ينادي به . فاني رأيت فهرسة المخطوطات في المانيا تحوي عناوين فصول ليست في الكتاب اي يوصف المخطوط وصفا جامعا . وهذا الوصف الجامع الذي اسميه الفهرسة العلمية يحقق جزءا من الذي يريد الاستاذ الابياري ان يقربه الى الناس . على اني ، على ذكر التقريب ، اذكر مسألة اثيرت في مؤتمر الادباء اظن عام ١٩٥٨ في الكويت . وهي : من ينتفع بهذا التراث ؟ هل ينتفع به الخاصة الذين يعنون بهذه الموضوعات ؟ او ينتفع به جمهرة المثقفين ؟ ووصولا الى حل وسط في هذا الموضوع اذكر انه قد تقرر في هذا المؤتمر ، وكانت فيه لجنة خاصة للتراث ، ان يحقق الكتاب اولا تحقيقا دقيقا ثم يستطيع من حقق كتابا ان يقدم عنه صورة حتى بأسلوب عصري لمحتويات الكتاب وفصوله وما فيه من موضوعات هامة للقارىء غير المتخصص . فاذا كان لا بد من التيسير فاظن ان عملية الفهرسة التي تبين محتويات الكتاب الكبرى هذه داخلة في الفهرسة العلمية . اما مسائل فهارس الاعلام او الاماكن فاظن انها عمل شاق قليل الجدوى .

الدكتور القصاص : الذي اخشاه ان اختصار الكتاب المحقق بأسلوب المحقق يعني أن تعاد كتابة هذا الكتاب ، مما قد ينتهي ، في النهاية ، الى تزييف هذا التراث . والى حجزه عن الذين ينتفعون به . فاذا كان لا بد من التيسير فاني اعتقد ان يكون ذلك باختيار فقرات طويلة من الكتاب المحقق نفسه وبأسلوب المؤلف وكلماته . وان ينشر ذلك للطلبة .

الاستاذ امين الخولي : هكا ما تقرر تقريبا . ان يصف المحقق الكتاب او يقدم ملخصا منه بالمسائل التي يشعر ان القارىء الغير المتخصص قد يحتاج اليها . وهذا طبعا لا يتيسر في العلميات ابدا انما يكون في الادبيات لا اكثر .

وتنتهي الندوة بعد ان ادلى كل من السادة المشتركين برأيه في قضية بعث التراث العربي . ما ينبغي له من معرفة ثم ما ينبغي له من جمع والطرق المؤدية الى ذلك . ثم ما ينبغي له اخيرا من تحقيق وتيسير وفهرسة . (١)

ابراهيم الصيرفي

(١) من ندوات البرنامج الثاني باذاعة القاهرة .

انتصارات الشهداء المليون

تتمة المنشور على الصفحة ٥ ـ

الضرورية يجب ان تبرز وتتجسم من خلال وجود هيئات ديمقراطية حقيقية على مستوى القاعدة لتسيير الاقتصاد ، وهيئات شعبية حقيقية للادارة الديمقراطية للاحواز ، ونقابات ديمقراطية حقيقية ، وادارة فعالة تراقبها الجماهير » (١٦) ... والحزب يحاول دائما ان يبلور هذه الهيئات التي تسير الاقتصاد ، ولذا فان الدستور الجزائري يمنح النقابات والعمال حق الاضراب حتى يوفر لهم ـ عبر ثقته المتنامية في وعيهم ونضجهم السياسي ـ امكانية فعالية الاشراف على الاقتصاد ، وضمان عدم سيطرة النزعات الفردية والطفيلية والاحترافية عليه .

كل هذه التجارب السياسية والاقتصادية تؤكد اهمية دراسة الثورة الجزائرية ، لا باعتبارها حدثا قوميا هاما في المنطقة ، ولكن ايضا باعتبارها خبرة عملية في الشكل النوعي الجديد للثورة العالمية ضد الاستعمار .. خاصة وان الظروف العالمية الراهنة تبلور شكلا شبه محدد للعالم الذي استعمر من قبل ، وتبرز امكانية التحول الاشتراكي في هذا العالم من خلال التوحيد بين الثورتين ، ثورةالتحرر الوطني وثورة البناء الاشتراكي ... وان كانت الخبرة التاريخية لم تؤكد هذه المسألة بعد .. الا انها واحدة من قضايا منطقة العواصف الثورة في عالمنا ـ اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ـ المطروحة للبحث.. خاصة وان هذه المنطقة هي نقطة تجمع التناقضات العالمية المعاصرة .

***

هذه هي بعض الانتصارات التي حققها الشهداء المليون.. حاولت ان المسها من بعيد في الذكرى العاشرة لانطلاقتهم المجيدة التي اكسبت الجماهير الجزائرية درجة عالية من الوعي والنضج السياسي والعداء الشديد للاستعمار بشتى اشكاله ، ورغبة عميقة في السيطرة على مقدرات حياتها وبناء اقتصادياتها حتى تتمكن من توطيد الاستقلال الذي دفعت ثمنه دماء المليون شهيد .. وحتى تتمكن بعد ذلك من بناء اشتراكيتها . واني لاعترف في اخر هذه الكلمة انني اكتشفت خلال كتابتي لها ، بعد كثير من المثقفين عن جزئيات صورة الثورة الجزائرية.. اذ ان الصحافة لا تقدم عن هذه التجربة الا الاخبار الفلاشية والمنقول اغلبها عن وكالات انباء استعمارية يهمها تجريح هذه التجربة وتعميق خلافاتها وسقطاتها الصغيرة . واني اذ آمل للشعب الجزائري بهذه المناسبة المزيد من الانتصارات .. ار جو ان تتاح لي فرصة دراسة اعمق واوفى عن هذه الثورة العظيمة .

(١٦) تقرير اللجنة التحضيرية لمؤتمر الحزب الاول .

القاهرة — **صبر حافظ**

مكتبة عبد القيوم

زوروا مكتبة عبد القيوم ببورتسودان تجدوا

احدث المطبوعات العربية ، وكذلك مجلة الاداب البيروتية ومنشورات دار الاداب .